**المحور الثاني**

**منسا موسىا الملك الحاج**

**أولا: منسا موسى في المصادر العربية:**

لم يشتهر أي ملك من ملوك مالي أو ملوك السودان مثل ما اشتهر هذا الملك، حيث تجاوزت شهرته قارة إفريقي ووصلت إلى آسيا وحتى أوربا، وإذا كانت الروايات الشفوية قد خلدت سوندياتا من خلال الأشعار والملاحم، فإنه يعود للمصادر العربية كل الفضل في تخليد هذا الملك، الذي ذكره ابن خلدون باسم منسا موسى(أي الملك موسى) ووصفه بالرجل الصالح والملك العظيم.وقال عنه ابن كثير: (( الملك الأشرف موسى بن أبي بكر، وهو شاب جميل الصورة، له مملكة متسعة مسيرة ثلاث سنين، ويذكر أن تحت يديه أربعة وعشرين ملكا، كل ملك تحت يده خلق وعساكر)). وقال عنه أبو الفضل العمري بأنه ((أعظم ملوك السودان المسلمين وأوسعهم بلادا، وأكثرهم عسكرا وأشدهم بأسا، وأعظمهم مالا وأحسنهم حالا، وأقهرهم للأعداء، وأقدرهم على إفاضة النعماء)).

كما ذكره عبد الرحمان السعدي باسم كنكن موسى، وقال عنه بأنه رجل صالح عادل، لم يكن في ملوك مالي مثله في الصلاح والعدل. ويدعوه محمود كعت بـ"مالي كوي كنكن موسى" وتعني بلغة السنغاي إمبراطور مالي أو المندينغ، ويصفه أيضا بالملك الفاضل التقي والورع.

وذكره أبن حجر العسقلاني بموسى بن أبي بكر سالم التكروري، ووصفه بصاحب التكرور أي ملك التكرور. كما يعتبر عهده الممتد من 706إلى737هـ/1307 الى1337م،أزهي فترات الإمبراطورية.

**ثانيا: ظروف اعتلائه عرش مالي:**

لقد وصل منسا موسى إلى الحكم حسب بعض الروايات سنة 706هـ/1307م، بعدما غاب والده أبو بكر الثاني في البحر**،** بينما ترى روايات أخرى بأنه اعتلى عرش مالي سنة 702هـ /1303م. حيث يعتبرونها هي السنة التي أبحر فيها أبوه إلى المحيط الأطلسي. ويذهب الرحالة بارث إلى أنه حكم بين710 إلى 731هـ/1311 إلى 1331م، ويعطي الزوجان كورنفان تاريخا آخرا مختلفا عن سابقيهم،حيث يقولان بأن والده أبو بكاري الثاني خرج إلى البحر سنة 709هـ/1310م، أما ابنه موسى فلم يتولى أمور الحكم إلا في سنة 710هـ/1312م.

إلا أننا نعتقد بأنه اعتلى العرش قبل التأكد من اختفائه بالبحر، لأن أبا الفضل العمري لما أورد قصة منسا موسى التي رواها في مصر عندما سأله ابن أمير حاجب عن كيفية انتقال الحكم إليه، وذكر فيها بأن رئيس المركب الذي نجا من البحر وعاد ليخبرهم بمصير بقية المراكب المفقودة خاطب منسا موسى قائلا له: (( تعلم أيها السلطان أنَّا سرنا زمانا طويلا حتى عرض لنا في لجة البحر واد له جرية قوية وكنت آخر تلك المراكب، فأما تلك المراكب فإنها تقدمت فلما صارت في ذلك المكان ما عادت ولا بانت، ولا عرفنا ما جرى لها، وأما أنا فرجعت من مكاني ولم أدخل ذلك الوادي)).

نلاحظ إذن بأن رئيس المركب خاطب منسا موسى بكلمة (أيها السلطان)، مما يعني أنه في ذلك الوقت كان ملكا على مالي، فقد يكون أبوه قد ولاه الملك خلفا له قبل أن يشد رحاله إلى تلك المغامرة البحرية. وعموما فإن عدم ذكر ابن خلدون تاريخ اعتلاء هذا الملك الحكم، جعل عملية الفصل بين التواريخ المقدمة من طرف المؤرخين المحدثين، والتدقيق فيها صعبة.

**ثالثا: أسماؤه و ألقابه:**

ولقد عُرف هذا الملك أيضا باسم موسى الأسود لسواد بشرته. كما اختلف المؤرخون حول تسميته باسم كنكن موسى أو كونكو موسى، فهناك من يقول بأن ذلك نسبة لأمه التي كانت تسمى نانا كنكن، فأصبح يدعى كونكو موسى أي ابن كونكو. وهناك من يقول بأن سبب هذه التسمية يعود إلى مكان ولادته، حيث وضعته أمه في منطقة تسمى كنكان فأصبح يدعى موسى منطقة كنكان.

كما اشتهر هذا الملك أيضا باسم الملك الحاج، ويعود ذلك لرحلته الشهيرة إلى الحج والتي تكلمت عنها المصادر العربية والسودانية بكثير من الإنبهار، وأضفت عليها صبغة أسطورية، فقد قام بهذه الرحلة سنة 724هـ/1324م.

**رابعا: رحلته الشهيرة إلى الحج:**

ويروي لنا المؤرخ السوداني محمود كعت قصة طريفة حول سبب قيام منسا موسى بهذه الحجة وإعطائها ذلك الاهتمام البالغ، حيث نقلها لنا عن أحد السوننكي النبلاء المدعو الطالب محمد كوما، ومفادها أن منسا موسى قتل أمه نانا كنكن عن طريق الخطأ، فسبب له هذا الحدث ألما وحزنا كبيرين، فقرر أن يكفر عن ذنبه عن طريق التصدق بكميات كبيرة من المال على الفقراء وصوم بقية حياته، ولما سأل أحد العلماء عن الطريقة التي تمكنه من التكفير عن خطأه، فنصحه بالتوجه إلى الله وأن يطلب منه المغفرة، وهنا قرر منسا موسى تجهيز موكب ضخم من أجل الذهاب إلى البقاع المقدسة للحج، وطلب المغفرة من الله. وقد اخبره أحد فقهائه بأنه يجب أن يشد الرحال إلى مكة المكرمة في يوم السبت الذي يصادف اليوم الثاني عشر من الشهر القمري،فحمل معه خمسمائة عبد، وبيد كل واحد منهم العصي من الذهب، وفي كل منها خمسمائة مثقال من الذهب، أي حوالي 1757،7غرام من الذهب. كما رافقه في هذه الرحلة ثمانية ألاف رجل، كما أخذ معه زوجته المدعوة إناري كونتي (Inari konté) مرفوقة بخمسمائة خادمة وامرأة لتقمن بشؤونها.

وفي طريق رحلته من بلاد السودان إلى مصر،كان موسى كاكان كلما صادف دخوله إلى أي مدينة يوم جمعة إلا وبنا بها مسجدا في ذلك اليوم، إذ تعد مساجد كل من مدينة كوندام (Goundam)ودوكوري (Doukourei)، وديري(Dirie)وكونكو(Kounko)، وباكو (Bakou)،من المساجد التي بناها في طريقه إلى الحج.( وقد أدخل معه إلى مصر ثمانين حملا من الذهب التبر،كل حمل سعته ثلاثة قناطير. كما صرف في مكةعلى سبيل الصدقة عشرين ألف قطعة ذهبية.

لقد أثر الذهب الذي أنفقه منسا موسى على سعر الذهب في مدينة القاهرة، حيث يذكر العمري بأن الذهب كان مرتفع السعر بمصر، حيث كان المثقال لا ينزل عن خمسة وعشرين درهما، ويزيد عليها، ومنذ أن جاء منسا موسى في تلك السنة إلى مصر، نزلت قيمته ورخص سعره سنوات، إذ لم يعد يتعدى سعر المثقال الواحد منه ثنين و عشرين درهما وما دونها واستمر ذلك لمدة تقارب اثنتي عشرة سنة، وذلك لكثرة ما جلبوه من ذهب إلى القاهرة، وأنفقوه بها. ويُذكر بأنه خرج من بلده بمائة وسق جمل(أي حمولة جمل) من الذهب أنفقها في حجته على القبائل بطريقه من بلاده إلى مصر، ثم من مصر إلى الحجاز الشريف، إلى درجة لجوئه إلى الاقتراض عند عودته إلى بلده، خاصة بعدما تأخر بمكة بعد انقضاء موسم الحج بأيام، فاستدان هو وأُمرائهم أحد تجار الإسكندرية يدعى سراج الدين، وذلك مقابل مكاسب كثيرة تقدر بثلاث مائة دينار مقابل سبع مائة دينار ربحا، ثم بعثها إليهم بعد رجوعه إلى بلاده.

لم يكن منسا موسى عند الشعب المالنكي مجرد ملك يحكم البلاد والعباد فقط، وإنما كان وليا من أولياء الله الصالحين،وهي مكانة دينية رفيعة بلغها نتيجة ما عرف عنه من تقوى وحسن عبادة، وتصدقه وحرصه على تطبيق تعاليم الإسلام. حيث يشهد لها بن أمير حاجب وهو والي مصر لما حل في بها،بأنه كان على نمط واحد في العبادة والتوجه إلى الله عز وجل كأنه بين يديه لكثرة حضوره، ومحافظ على الصلاة والقراءة والذكر مع حسن الزي في الملبس والسكينة والوقار، وكان كريما جوّادا كثير الصدقة والبر. وعندما استقبله السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون في قصره بعد إلحاح شديد من المهمنداررفض أن ينحني أمامه، وقال للترجمان:((أنا مالكي ولا أسجد لغير الله.)).

ولقد بلغت إمبراطورية مالي في عهده أوج اتساعها وقوتها وازدهارها، حيث كانت تمتد من سواحل المحيط الأطلسي غربا إلى غاية حدود نيجيريا الحالية، ومن الجنوب فقد كانت تحدها الغابات الاستوائية، أما من الشمال فتحدها المراكز التجارية للصحراء الكبرى، فتح منها بسيفه وجنده أربعا وعشرين مدينة ذوات أعمال وقرى وضياع.كما قام باحتواء الخرائب التي كانت من أراضي مملكة غانة في باغينا Baghena، والأراضي المعمورة الممتدة إلى غاية أدرار الموريتانية شمالا، بالإضافة إلى بلاد التكرور الغربية. كما تميزت فترة حكمه بالرخاء الاقتصادي، حيث كانت مالي تنتج الحبوب بكميات كبيرة، وازدهرت زراعة القطن، وسيطرت على مناجم الذهب في بامبوك وبوري، واستفادت من حديد السنغال الأعلى، ونحاس منطقة ديارا.

**خامسا: مالي في عهد منسا موسى:**

وقد عرفت مالي في عهده علاقات دبلوماسية وتجارية مع فاس بالمغرب الأقصى في عهد السلطان المريني أبي الحسن، حيث كانت له معه مواصلة ومهاداة، وتبادل الوفود بين الدولتين. فلقد ذاعت شهرة منسا موسى في العالم الإسلامي، وقام الرسامون برسم صورته وهو يرتدي عباءة الملك الفخمة وعلى رأسه تاج من الذهب الخالص المرصع بالجواهر والأحجار الكريمة، يمسك بإحدى يديه كرة ضخمة من الذهب وفي يده الأخرى صولجان الملك من الذهب الخالص. كما أنه في سنة731هـ/1339 وجد اسم مالي مكتوبا على خرائط العالم التي وضعها الجغرافي الايطالي "أونجيلو دولسرت"، كما وجد في الأطلس الجغرافي الذي وضعه"أبراهام كريسك" لشارل الخامس ملك فرنسا، وفيه اسم مالي بوضوح.

**أولا: انجازاته:**

**1 ـــ الانجازات العسكرية:**

استطاع حفيد سوندياتا الملك منسا موسى أن يوسع إمبراطورية أجداده باتجاه الشرق، حيث يذكر ابن خلدون نقلا عن الحاج يونس ترجمان منسا موسى في القاهرة بأنه غزا مملكة سنغاي وعاصمتها كوكو(جاو) بقيادة أحد ضباطه الذي يدعى سغمنجه، وضمها إلى حظيرة ملكه، وذلك خلال عودته من الحج سنة 726هـ/1326م. ورغم فروض الطاعة والولاء التي قدمها له ملك سنغاي ضياء أسيباي أو (زا ياسبي)، إلا أن منسا موسى قام بأخذ ابني هذا الملك كرهينتين وهما علي كولن وسليمان نار. وذلك حتى يكونان ضمانا لولاء أبيهما.وقد ضم أيضا إلى امبراطوريته مدينة تمكبكتو وجعل فيها خليفة له، ولم تصمد أمامه سوى مدينة واحدة في السودان الغربي كله ألا وهي مدينة جني، التي كثيرا ما غزاها لكنها قاومته.كما أخضع في طريقه إلى الحج أيضا مدينة ولاته، وغزا مدينة ميما وتوات، وسيطر منسا موسى أيضا على طريق الملح والذهب الذي كان يخترق الصحراء الكبرى، فتملّك بلاد الونغارا، ومناجم الملح في تغازة، ومناجم النحاس في تاكدا. كما قام نفس الملك حسب شهادة المؤرخ السوداني أحمد بابا التمبكتي بالتوسع باتجاه الغرب والشمال الغربي على حساب أراضي الطوارق، حيث سيطرته على منطقة باغن أو باغينا أين كانت توجد خرائب مدينة غانا المندثرة (كومبي صالح)، كما استولى على كل البلاد المأهولة بالسكان، والممتدة من منطقة تاغانات والأدرار الموريتانية أو ما يعرف بالجزء الغربي من الصحراء، بالإضافة إلى سيطرته على بلاد التكرور الغربية. .

**2 ــ التنظيمات السياسية و الإدارية:**

لقد ورث منسا موسى نظام حكم مستمد من الميثاق الذي وضعه سوندياتا كيتا، لكن يبدو من خلال المصادر العربية التي ظهرت ابتداء من القرن الثامن للهجرة/ 14 للميلاد بأن ملوك هذه الفترة قد تأثروا كثيرا بالحكام المسلمين الذين احتكوا بهم من خلال زياراتهم المتكررة إلى الحج، وكذا الأخبار التي كانت تصلهم عنهم من خلال التجار المسلمين الذين كانت أسواق مالي كتمبكتو، ولاته وجني تعج بهم.

وبالإضافة إلى نظام الحكم اللامركزي الذي تميز به ملوك كيتا المنديين عن بقية ملوك السودان الغربي، فقد تميزوا بتشبههم بملوك المسلمين وخلفائهم، حتى أننا لا نكاد نفرق بينهم. فقد ذكر العمري كيف كان سلطان مالي منسا موسى يجلس في قصره على مصطبة كبيرة فوق دكة كبيرة من الأبنوس ومعه سيفه الذهبي وقوسه، ويقف حوله ثلاثون عبدا من الترك وغيرهم، ويجلس أمراؤه من حوله وكذا أعيان البلد وضباط جيشه، ويصف لنا شغفه بالخيول العربية التي لا يبخل فيها بدفع أثمان باهظة، وكان إذا عطس في مجلسه أحد ضرب ضربا مؤلما ولا يسامح في ذلك احد، أما إذا عطس الملك ضرب الحاضرون بأيديهم على صدورهم.ويذكر أيضا بأنه لا يدخل أحد إلى دار الملك إلا حافيا كائنا من كان، ومن لم يخلع نعليه ساهيا أو متعمدا قتل بلا عفو. وكان ملوك مالي إذا ما انعموا على أحد من الناس بنعمة، أو وعده بجميل، أو شكره على فعل تمرغ ذلك المنعم عليه بين يديه من أول المكان إلى لأخره، فإذا وصل إلى آخر المكان أخذ رمادا وذره على رأسه.

ولكن رغم ذلك فيبقى انتقال الحكم في مالي على عهد منسا موسى يتم عن طريق الذكور، حيث يرث الابن الحكم عن أبيه، فقد أكد ذلك الملك منسا موسى لابن أمير حاجب خلال زيارته لمصر إذ قال له:((نحن أهل بيت نتوارث الملك))**.** وعندما يكون الوريث الشرعي(أي ابن الملك الراحل) صغيرا في السن فإن مجلس الأعيان يقوم بتعيين شقيق الملك الراحل أو ابن عمه أو قريبه، لكن حق الابن يبقى محفوظا. وهو ما تسبب في اندلاع صراعات بين أبناء الإخوة على العرش، كما حدث بعد وفاة منسا سليمان. ويخبرنا العمري بأنه كان لمملكة مالي علما لون قاعدته حمراء وفي الوسط يتخلله اللون الأصفر.

**3 ـــ الوظائف والخطط:**

لقد نقل ملوك مالي الخطط والنظم والوظائف الإسلامية إلى بلادهم، بحيث يذكر أبو الفضل العمري بأن مملكة مالي عرفت القضاة والوزراء والكتاب والمترجمين والدواوين، وهي وظائف لم توجد إلا في العالم الإسلامي وقتذاك. وكان منساوات مالي لا يكتبون شيئا في الغالب، بل يكل كل أمر إلى صاحب وظيفته، وكان كتابهم يكتبونها بالخط العربي المغربي. وبهذا يمكن أن نقول بأن خلفاء سوندياتا أعطوا لإمبراطوريتهم بعدا إسلاميا في مجال النظم.

**4 ـــ خطة القضاء:**

لقد أولى منسا موسى خطة القضاء أهمية قصوى نظرا لحرصه الشديد على إقامة العدل في ربوع مملكته، ولكنه لم يكن يعرف القضاء باسمه العربي، حيث كان القاضي عنده يلقب بـ" **أنفارو كوما**"، وكوما هي العشيرة التي تزود الإمبراطورية بالقضاة، بينما انفارو تعني القاضي.ومن دلائل أهمية منصب القضاء في عهد منسا موسى هو أن القاضي كان يعد الشخص الوحيد في المملكة الذي كان له الحق في منح يده للسلطان، وكان يعين بأمر من الملك نفسه.كما كان القاضي بمملكة مالي من الذين ينفق الملك عليهم الأموال في ليلة السابع والعشرين من رمضان والتي يسمونها الزكاة.

ورغم أهمية هذه الخطة إلا أنها كانت توكل في إلى عناصر غير مندية في غالب الأمر بالإضافة القاضي الذي كان مع منسا موسى وهو من البيضان والمكنى بأبي العباس ويعرف أيضا بالدكالي (نسبة إلى مدينة دكالة بالمغرب الأقصى)، وقاضي تكدا أبا إبراهيم.كما عرفت مدينة تمبكتو خلال أواخر حكم أسرة كيتا المالية القاضي الحاج المعروف بالقاضي يحي، الذي كان بربريا ينحدر من مدينة ولاته. وهذا راجع للعلم الذي يتمتع به هؤلاء المغاربة، وتبحرهم في العلوم الشرعية التي كانت تمثل مصدر التشريع بالنسبة للقضاء في إمبراطورية مالي.

كان القضاة يشرفون على الفصل في النزاعات والخصومات التي كانت تنشأ بين الناس، ويسهرون على تطبيق الشريعة الإسلامية سواء بالنسبة للأمور الدينية أو الدنيوية. ذلك أن القضاء في مالي لم يكن منفصلا عن الدين الإسلامي، وكان القضاة يقضون وفق النصوص القرآنية. فلقد كان منسا موسى يعين بجانب كل حاكم أو أمير مقاطعة قاض يكون فقيها في التشريع الإسلام، ويحكم به.

وكان يشترط في القاضي مجموعة من الصفات أهمها العلم والنزاهة والتقوى، كما كان للقاضي في بعض الأحيان قاض مساعد يفصل في قضايا الأجانب، مثلما هو الحال في مدينة تمبكتو.وكان القضاة يحاطون بهالة من التبجيل والتقديس من طرف السكان، حيث كان بيتهم محرما مثل المسجد يلتجئ إليه أحيانا زعماء المعارضة خوفا من بطش الملك.

**5 ـــ** **الشرطة:**

يذكر محمود كعت بأنه لما سافر منسا موسى إلى البقاع المقدسة في رحلة حجه الشهيرة كان من بين مرافقيه في تلك الرحلة شخص يحمل لقب "أسارا مونديو" أو (أسرع منديو) وهي تحريف لكلمة (أشرع منذ)، ويقول موريس دولافوس بأنه لقب تطلقه الشعوب التي تتكلم لغة السنغاي على رئيس الشرطة أو منفذ الأحكام، ذلك أن هذا الاسم مركب من كلمتين الأولى عربية وهي شرع وتعني القانون الشرعي، والذي تداولته عدة شعوب سودانية ولكن بصيغ مختلفة، فهناك من يذكر بصيغة أشار أو أسار، وهناك من يذكره بصيغة سارا، أما الكلمة الثانية فهي بلغة الفلاته وهي مونديو، والتي انتقلت إلى لغة السنغاي بمعنى تنفيذ الحكم، وبذلك فإن معنى الكلمة هو منفذ حكم الشرع،وهي الوظيفة التي كان يقوم بها صاحب الشرطة أو المحتسب في الدول الإسلامية التي عاصرت فترة حكم منسا موسى الذي يكون قد تأثر بنظمها.

**5 ــــ نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية:**

كان منسا موسىى شديد الحرص على تعلم الدين الإسلامي ومن ثم نشره بين رعيته، فلقد كان حريصا على الصلاة وقراءة القرآن والذكر، وكان رغم ذلك قليل العلم بشرائع الدين، لذلك كان يحرص على تعلم دينه واجتناب المعاصي التي كانت ترتكب عن جهل، فيذكر العمري بأنه عندما كان منسا موسى بالقاهرة في طريقه إلى الحج أخبر ابن أمير الحاجب بأنه من عادات أهل مملكته إذا نشأ لأحد منهم بنت حسناء يقدمها للملك أَمَة فيملكها بغير زواج مثل ملك اليمين، ولكن لما أخبره ابن أمير الحاجب بأن ذلك لا يجوز شرعا، قال له منسا موسى:(( والله ما كنت أعلم وقد تركت هذا من الآن))**.**كما حرص هذا الملك على إرساء أسس ثقافة عربية إسلامية مزدهرة من خلال إرسال الطلبة إلى القاهرة والمغرب الأقصى والحجاز، من أجل تطوير معارفهم العلمية ليوظفوها في خدمة هذه النهضة عند عودتهم إلى بلادهم، فلقد وجد في جامع الأزهر رواق خاص بالطلبة الوافدين إليه من السودان الغربي يعرف برواق البرتية. وما زالت الروايات الشفوية تذكر بأن الملك منسا موسى كان قد اشترى عدد من الدور لإيواء الحجيج والطلبة في كل من القاهرة ومكة المكرمة.

لقد وجدت في القاهرة جالية هامة من الطلبة والفقهاء السودانيين منذ العهد الفاطمي، فقد اندمجوا داخل المجتمع السوداني وكان لهم حي خاص بهم يعرف ببولاق التكرور، وكانت هذه الجالية متجذرة بقوة في الميادين التربوية، الثقافية والدينية في مصر، وذلك بفضل العلاقات القوية التي كانت قائمة بين مصر المملوكية وإمبراطورية مالي خلال فترة حكم منسا موسى، لهذا كان بالمقابل عدد كبير من الفقهاء والتجار والقضاة المصريين قد انتقلوا إلى مالي.ويمكن أن نذكر الشيخ العالم أبو محمد يوسف بن عبد الله التكروري الذي درس في الأزهر وعاش في القاهرة أين كان ينشر علمه ومعارفه إلى غاية وفاته، لهذا وعرفانا له بمجهوداته في سبيل العلم والدين، قام المصريون ببناء فوق قبره قبة ومسجد سمي بمسجد التكروري، حيث قام المماليك البحرية بتجديده وتوسيعه عام 743للهجرة / 1342م.بالإضافة إلى الشيخ المصري الفقيه القاضي عبد الرحمان التميمي وهو جد القاضي حبيب والفقيه اند غمحمد الكبير، الذي جلبه الملك منسا موسى من الحجاز عند رجوعه من الحج وأسكنه مدينة تمبكتو، لكنه هذا العالم لما رأى عدد الفقهاء بتمبكتو ومستواهم العلمي الذي يفوق مستواه رحل إلى مدينة فاس وتعلم هناك وتفقه على يد علمائها ثم رجع إلى تمبكتو.

كما زار موسى كاتب وهو الكاتب الشخصي لمنسا موسى مدينة فاس من أجل الدراسة وذلك بإيعاز وتشجيع من منسا موسى.

وكان للسودانيين مدرسة بالقاهرة مختصة في علوم اللغة العربية والشريعة، عرفت بمدرسة ابن راشق،كان قد بناها أحد ملوك الكانم لما مرّ بالقاهرة قاصدا الحج سنة 640هـ/ 1243م، حيث دفع الأموال للقاضي عالم الدين ابن رشيق الذي بناها له، ودرس فيها فعرفت باسمه، ثم أصبحت لها شهرة في صفوف سكان السودان الذين كانوا يزودونها بالأموال كل سنة. كما شيد منسا موسى مدرسة قرآنية إجبارية في العاصمة المالية نياني، وطبق على طلبة هذه المدرسة نظاما صارما وشديد القسوة، حيث نقل لنا ابن بطوطة قصة ذلك القاضي الذي قيد أولاده يوم العيد بسبب عدم حفظهم للقرآن، وشاهد أيضا في يوم من الأيام شابا حسن الصورة وعليه ثياب فاخرة، ووُضع في رجليه قيد ثقيل لنفس السبب. وقد بلغ تعلق منسا موسى بالإسلام وبأهله، حدا جعله يطلب من شريف مكة خلال تواجده بها أن يرسل معه إلى مالي اثنان أو أربعة من الأشراف المنحدرين من سلالة الرسول صلى الله عليه وسلم وآل بيته ليكونوا رمزا للمباركة التي حضي بها، ويستمد منهم شرعية ملكه أمام رعيته، وتتبرك أرض السودان بخطوات أقدامهم، وأعلن عن مكافأة تقدر بألف مثقال من الذهب لمن يريد الذهاب معه، وفي الأخير استطاع أن يجلب معه أربعة أشخاص من قريش ومعهم عائلاتهم، ومنح كل واحد منهم ألف مثقال ذهب، وأنزلهم في منطقة تسمى شنشن في ضواحي مدينة جني،لكن يعتقد بأنهم ليسوا من الأشراف.

ومن الشخصيات التي اصطحبها منسا موسى معه عند عودته من الحج رفقة الفقيه عبد الرحمان التميمي رجل من عائلة الزعيم الموحدي عبد المؤمن بن علي الذي يدعى المعمر والذي كان له دور بارز في تعليم الملك الشرع الإسلامي من خلال الحظوة التي كان يتمتع بها، ويلازمه دون بقية وزرائه وكبار رجال قومه.

إن المجهودات التي قام بها منسا موسى في سبيل نشر الدين الإسلامي والثقافة الإسلامية أكسبته مكانة دينية رفيعة لدى شعبه، فلم يعد مجرد إمبراطور فقط، وإنما تحول في نظر الشعب المندي إلى ولي من أولياء الله الصالحين. لذلك نقول بان منسا موسى لم يكتف بانبهاره بالثقافة العربية الإسلامية والتأثر بها انطلاقا من تعلقه بالدين الإسلامي وكل ما يرتبط به من لغة وسلوك وثقافة، وإنما استطاع أن يدخل الإمبراطورية كلها في هذه الثورة الثقافية العربية الإسلامية، رغم بعض الخصائص السودانية التي بقيت تميزها.

6**. إدخال المذهب المالكي:**

وكانت أول هذه التأثيرات انتشار المذهب المالكي، الذي كان مذهب المغاربة بامتياز، وهنا يظهر لنا جليا التأثير المغربي بحكم الموقع الجغرافي وتأثير التجار المغاربة من الصنهاجيين في نظرائهم الماليين، بالإضافة إلى دور المرابطين في نشر المذهب السني المالكي. كما كان الأزهر وطلبته دور كبير في نشر هذا المذهب في إمبراطورية المندينغ، فقد كان الأزهر يقوم على المناداة بمذهب السنة،كما أن مدرسة ابن رشيق التي بناها الكانميون وكان يدرس فيها الطلبة الماليون كانت تدرس الشريعة وفق المذهب السني المالكي. فلقد كان منسا موسى مالكيا متشددا، حيث حرص عند عودته من الحج على جلب معه الفقهاء والكتب على مذهب الإمام مالك.

ولما حج أخوه من بعده الملك منسا سليمان سنة 1351م /751 هـ، قرر استغلال فرصة تواجده بمصر لشراء عدد من الكتب لتدعيم مكتبات الإمبراطورية،وخاصة تلك الموجودة بمدينة تمبكتو وذلك لتعويض ما خربه وحرقه الموسي خلال هجومهم عليها، فكانت الكتب التي جلبها تضم كتب المذهب المالكي.وعند وصول منسا موسى إلى القاهرة خلال رحلته إلى الحج سنة 724هـ /1324م، أرسل السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون المهمندار في طلبه، وطلب منه السجود وتقبيل الأرض رفض منسا موسى ذلك وقال للترجمان الذي كان يكلمه:((أنا مالكي المذهب، ولا اسجد لغير الله)).وبالتالي فقد أصبح المذهب السني المالكي هو المذهب الرسمي للدولة المالية، ومعتنقيه يدعون "توري" بلغة المالنكي.

ورغم هذا الحرص الذي كان يبديه منسا موسى على التمسك بمذهب مالك ومحاولة إشهار ذلك خلال سفرياته إلى الخارج، إلا أن مملكة مالي لم تكن بمعزل عما كان يعرفه العالم الإسلامي وخاصة المغرب الإسلامي من اختلاف مذهبي، حيث يذكر لنا ابن بطوطة بأن الإمبراطورية المالية التي زارها في عهد منسا سليمان، كان يوجد بها المذهب الخارجي لكن يبدو أنه لم يكن بالأهمية البالغة، بحيث يكون قد اقتصر على قرية زاغزي التي يسكنها التجار السوننكي من الونغارا ومعهم جماعة من البيضان يتمذهبون بالمذهب الإباضي ويعرفون بصغنغو.

وعموما فإننا لم نصادف أي مصدر تكلم عن وجود المذهب الاباضي في مملكة مالي باستثناء ابن بطوطة، كما أنه يظهر من شهادة هذا الأخير أن هذا المذهب اقتصر وجوده على قرية صغيرة مما يؤدي بنا إلى الاعتقاد بأن سكان هذه القرية كانوا يشكلون بقايا تأثير الفقهاء الاباضية من التجار الذين كان لهم نشاط قوي خلال القرن الخامس للهجرة/11م، والذين كان لهم أثر بارز في اعتناق ملوك مالي الأوائل للإسلام. لكن نشاط أولائك الدعاة الاباضية كان خلال القرن الرابع والخامس للهجرة/10و11م، وهي فترة لم يكن الإسلام قد تغلغل في المجتمع المندي، وكان إسلاما سطحيا، بينما شهد القرن الثامن للهجرة وهو عصر منسا موسى وأخوه سليمان نهضة ثقافية وتفتح مالي على العالم الإسلامي، وخاصة المراكز العلمية المالكية السنية كالأزهر وفاس. لهذا نقول بأن منسا موسى قد افلح في جعل المذهب السني المالكي، هو المذهب الرسمي للدولة المالية، ونشير إلى أنه رغم تردد منسا موسى على مصر، والعلاقات التي كانت تربطه بعلمائها، وملوكها، إلا أنه لم يتأثر بالمذهب الشافعي الذي كان مذهب المماليك بمصر، وهو ما يُفَسَّر بمدى تأثير العلماء والفقهاء المغاربة في الثقافة الدينية لمالي، ومدى تمسك ملوك مالي بالمذهب المالكي، بالإضافة إلى محاولة إظهار استقلالهم المذه بي عن مصر،بينما لم تتكلم المصادر عن أي أثر للمذهب الشيعي في مملكة مالي.

**7. نشر اللغة العربية:**

لقد كان القرن الثامن للهجرة عصر القوة، وكذا عصر التعريب لإمبراطورية مالي، وذلك بفضل المجهودات التي قام به منسا موسى من أجل نشر لغة القرآن في ربوع المملكة، والتي كانت تندرج ضمن مشروعه الثقافي الكبير الساعي إلى جعل إمبراطورية مالي ليس جزءا فقط من العالم العربي الإسلامي، وإنما عنصرا فعالا في حضارته. وكما اهتم بإرسال الطلبة إلى جامعات القاهرة وفاس، وحرص على جلب أمهات الكتب العربية إلى بلده، فإنه أسس عند عودته من الحج سنة 1325م/725هـ مدرسة في مدينة نياني لتعليم اللغة العربية والقرآن.

فكانهذا الملك يتقن اللغة العربية قراءة وكتابة، وكان يداوم على قراءة القرآن باللغة لعربية، فقد أخبر ابن أمير الحاجب أبا الفضل العمري بان منسا موسى كان يجيد التكلم باللسان العربي،والأكيد أنه لما ذكر كلمة إجادة كان يعني بها الإتقان. وكانت مراسلات منسا موسى مع سلاطين المماليك بمصر بخط عربي تراعى فيه أصول وقوانين الأدب العربي، وكان يكتبها له خاصته من الماليين.

أما في عهد منسا سليمان فقد تحولت اللغة العربية إلى لغة رسمية للإمبراطورية المالية إلى جانب اللغة المالنكية. حيث انتشر في عهده الخط العربي وخاصة الخط المغربي الفاسيالذي يكون قد جلبه معهم إلى مالي طلبة المشرق الذين درسوا في مصر، أو جلبه منسا سليمان نفسه عند عودته من الحج، كما انتشر أيضا الخط المغربي الذي انتقل إلى مالي عن طريق التجار المغاربة.فمازالت المخطوطات التي احتفظت بها مدينة تنبكتو إلى اليوم والتي تعود إلى فترة القرن التاسع للهجرة، تشهد على انتشار هذا الخط .

**سادسا:وفاته:**

وقد توفي هذا الملك بعد خمس وعشرين سنة لحكم، أي في سنة 733للهجرة/ 1332ميلادية تاركا وراءه إمبراطورية واسعة وقوية، تتمتع بسمعة وهيبة تجاوزتا حدود السودان الغربي، فلقد كانت إمبراطورية مالي عند وفاته تمتد من بلاد التكرور غربا إلى غاو وإلى ما ورائها شرقا، وتضم معها جزء كبير من الصحراء، أما جنوبا فقد بلغت حدود الإمبراطورية عمق الغابات الاستوائية**.**لكن بمجرد خلافته من طرف ابنه منسا مغا حتى دخلت البلاد في فوضى عارم، وبدأت عوامل الضعف تحل في أرجاء الإمبراطورية على أيدي خلفائه الذين جاؤوا من بعده.